


2016

نظرية التلقي وقراءة التراث العربي: تطبيقات على النقد الأدبي في العهد المريني

عبد الجليل شوقي
كلية اللغة العربية، مراكش، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#), [Classical Literature and Philology Commons](#), and the [Comparative Literature Commons](#)

Recommended Citation

"شوقي, عبد الجليل (2016) "نظرية التلقي وقراءة التراث العربي: تطبيقات على النقد الأدبي في العهد المريني"
Dirassat: Vol. 19 : No. 19 , Article 2.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol19/iss19/2>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

نظرية التلقي وقراءة التراث العربي: تطبيقات على النقد الأدبي في العهد المريني

عبد الجليل شوقي
كلية اللغة العربية - مراكش

اهتمت الدراسات النقدية العربية الحديثة بقضية التلقي، من خلال ترجمة النتاج الغربي، والقيام بإسقاط مناهجه على الثقافة العربية، حديثها وتراثها، في محاولة للاستفادة منها لقراءة النصوص الأدبية العربية، كما سعت دراسات أخرى للتأصيل لهذه النظرية في التراث العربي²²، وذلك لإثبات أن كل نظرية

²² - ويمكن تقسيم دراسة هؤلاء الدارسين لنظرية التلقي في التراث النقدي والبلاغي العربي إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: تناولت نظرية التلقي باعتبارها خلفية ومنهج لقراءة هذا التراث.
الفئة الثانية: بحثت عن ظلال هذه النظرية في ثنايا المصادر النقدية والبلاغية القديمة.
الفئة الثالثة: زاجت بين الأمرين عند الفئتين السابقتين.

تعتبر الفئة الأولى أن نظرية التلقي بمفهومها الواسع (ستمدهم) بمنهج سليم، وبأدوات إجرائية وفعالة لفهم المؤلفات البلاغية والنقدية، ومقاربتها في سياق نتائجها التاريخي والاجتماعي والثقافي، وفي إطار تفاعلها مع نتائج العصر الحاضر، وأما الفئة الثانية فنجدتها تتحدث عن القراءة والتلقي عند نقاد قدماء مثل: أرسطو (ت 322 ق.م)، والأمدى (ت 376هـ)، والجاحظ (255هـ)، والسكاكي (656هـ) وغيرهم، وتعتبر أن الاهتمام بالتلقي ليس جديدا تلك الجدة التي قد توهمنا بها نظرية التلقي الحديثة ومن استهوتهم مصطلحاتها وأعلامها، بل إن القدماء في الغرب والشرق على حد سواء، ركزوا على المتلقي بقوة في خطابهم، كما يتضح من خلال السفسطائيين وقوة إقناعهم في مخاطبة جمهورهم وفق قانون "الإغواء الجمالي" و"مفهوم التطهير" الأرسطي، وأسلوب التغريب أو إبطال الإبهام عند "بريخت" الذي يحول متلقي العرض المسرحي من موقف التأييد إلى موقف النقد، كما درس آخر "أفق التلقي النقدي لدى الأمدى" من خلال موازنته، ورصد تقسيم الأمدى للقارئ: القارئ المعجب، والقارئ العالم، والقارئ المتذوق، فالأمدى في نظره يفرق بين متلق أخذه الإعجاب بالشعر وازداد حماسه له، حتى ظن أنه قادر على فهمه وتحليله، وليس له علم صحيح به، ومتلق قارئ عالم بالشعر يمتلك أداة الوصف الكفيلة بتحليل الشعر ومعرفة تحليل أسباب جودته أو رداءته، ومتلق ثالث أخذ قسطا وافرا من الدربة والمعاناة، أهله إلى إصدار حكم نقدي صحيح على الشعر، دون القدرة على بيان العلة في ذلك، كما وجد عمو عسو أن السكاكي قد استعمل كلمة "التلقي" نفسها في عرضه للعلاقة التي "تجمع ما بين الكتاب والعلم الذي يتضمنه والقارئ الذي يتلقاه. وهو بهذا الرأي يكون من أهم الباحثين الذين زاوجوا بين جعل نظرية التلقي خلفية لمنهج قراءة المصادر النقدية والبلاغية العربية إبان الغزو المغولي وخصوصا "مفتاح العلوم" للسكاكي (656هـ)، وكذلك البحث في هذه المصادر عن اهتمام هؤلاء القدماء وخصوصا السكاكي- بكلمة التلقي باعتبارها مصطلحا، لا باعتبارها مفهوما جماليا كما استوى في الدراسات النقدية الحديثة.

تستحدث إنما هي تجل لحقيقة ثاوية في تراثنا؛ أو للتأكيد على أن هذا التراث قادر على الاستجابة والتفاعل مع كل ما يبتدع من النظريات والمناهج.

ولهذا وجدنا من الدارسين العرب المحدثين من سعى إلى تأصيل مفهوم "التلقي" في ثانيا المثنى القرآني الكريم والمعاجم العربية والمصادر النقدية القديمة ؛ وهو عمل لن يقود إلا إلى إضاعة المصطلح معجميا، بعيدا عما ننتظره من كونه مفهوما جماليا، اكتسب مفهوميته في أتون أصوله الغربية الحديثة، ولا نستغرب أن كل هؤلاء الدارسين يخلصون إلى نتيجة واحدة مفادها: "إذا نظرنا إلى المعاجم العربية قديمها وحديثها فإننا لا نجد لمصطلح التلقي سوى مفهوما لغويا يفيد الاستقبال أو الأخذ أو التعلم أو التلقين"²³، "وربط التعلم بالدعوة إلى ما تعلم والتوصية به"²⁴.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمعاجم العربية القديمة، على اعتبار أنها محكومة في صورتها للمصطلح بمرجعية قرآنية وإبداعية تراثية، فإن المعاجم العربية الحديثة ارتقت بهذا المصطلح إلى مفهومه الجمالي بالاستناد إلى أصوله الغربية، فقد عرّف الباحث سعيد علوش "المتلقي" بقوله:

1- الكائن أو الآلة، التي تصور إليها خبر ما.

2- ويعارض (المتلقي) في نظرية الإعلام، (الباعث).

3- يتمثل الاختلاف بين السيميائية، ونظرية الإعلام، فيما يخص (التلقي)، في كون هذا الأخير، يمثل وضعية مفزعة، في الحالة الثانية: (الآلة)، بينما يمتلك في الحالة الأولى، كفاءة دينامية"²⁵، يبدو أن هذا الباحث المغربي قد اعتمد في معجمه على نظرية التواصل من خلال خطاطة جاكسون، ونظرية التلقي الجمالي التي تركز التفاعل الفني بين الباعث والمتلقي/الكائن من خلال قضية الوقع الجمالي لدى إزر.

²³ - نظرية التلقي والنقد العربي الحديث، أحمد بوحسن، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات: 24، مطبعة النجاح الجديدة، ص: 14.

²⁴ - المناهج البلاغية والنقدية العربية إبان الغزو المغولي: دراسة وتحليل ونقد، عمو عسو، مطبعة ووراقة تانسيقت، ط1، مراكش، 1422هـ/2001، ص: 127.

²⁵ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، منشورات المكتبة الجامعية، البيضاء، ص: 115.

ولم يكن الرقي بهذا المصطلح في المعاجم العربية الحديثة إلا استجابة لرغبة ملحة فرضها تسابق الدراسات النقدية العربية المعاصرة إلى هذه النظرية، واعتبارها أداة ناجعة لقراءة التراث النقدي العربي.

فإذا كان استعمال النظريات الحديثة (وعلى الخصوص نظرية التلقي) في قراءة التراث أمراً محموداً برأي العديد من الباحثين، شريطة احترام السياق: التاريخي، والثقافي، والاجتماعي، التي أنتجت فيها، فإن عملية التأصيل لمفهوم "التلقي" في التراث العربي كما عرف في الدراسات الحديثة عمل غير مقبول، والتأصيل لمصطلح "التلقي" -كذلك- هو الآخر عمل غير ذي جدوى.

وبقدر ما كانت لهؤلاء الدارسين المعاصرين فضيلة قراءة التراث النقدي العربي القديم بالاستناد إلى النظريات الحديثة وخصوصاً نظرية التلقي، فإن للفيء آخر من الدارسين فضيلة قراءة وترجمة وتطوير هذه النظريات الحديثة، دون التفريق في كثير من الكتابات بين مفهومي "القراءة" و"التلقي"، وسعت جاهدة للانتصار لنوع من التلقي أو القراءة، باعتبارها آلية موفقة لقراءة وتلقي النص الأدبي، وكثيراً ما يعرض هؤلاء الدارسون لعدد من أنواع القراءة والتلقي، ليختم بالانتصار لواحدة منها، فهذا محمد عابد الجابري يميز - في محاولة منه لتحديد منهج قرائي خاص في تحليل بنية الخطاب الفكري العربي المعاصر - بين ثلاثة ضروب من القراءة:

- أ- القراءة الاستنساخية أو ما يسميها القراءة ذات البعد الواحد.
- ب- القراءة التأويلية أو ما يسميها القراءة ذات البعدين.

القراءة التشخيصية، ومن خلالها يدعو "إلى تجاوز هاتين القراءتين لأنهما تلتقيان - كما يرى - في محاولة إخفاء التناقضات التي تقدم نفسها على سطح الخطاب المفرد، مجتهدة في تذويبها عن طريق التأويل... فهي ترمي إلى (تشخيص) عيوب الخطاب وليس إلى إعادة بناء مضمونه"²⁶.

ويقدم سعيد علوش اقتراحاً آخر في معرض تحديده لمنهج قرائي يحلل بنية الخطاب الروائي: القراءة الأفقية، والقراءة العمودية، والقراءة الهيرومينوتيكية،

²⁶ - من سلطة النص إلى سلطة القراءة، تامر فضل، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 48-49، مركز الإنماء القومي، 1988، ص: 96-97.

وهي القراءة المفضلة لديه، لأنها تعتمد أساساً على ملاحقة خطابات المستنسخات وجدلية اللعب بالرموز والمواقف والشخصيات"²⁷.

تعددت أنواع القراءات لدى كل من الجابري وعلوش، وتعددت معها الفهوم والمرجعيات الغربية المعتمدة، الشيء الذي جعل محاولتهما تدور في فلك الفهم الغربي، بعيدة عن أي إضافة نوعية، وأقصى ما وصلت إليه أن اخترت قراءة من بين عدة أنواع من القراءات وانتصرت لها.

وبالرجوع إلى المعاجم الفرنسية الأساسية أو الموسوعات المعروفة وبعض المعاجم الخاصة بالمصطلحات الأدبية أو النقدية الحديثة، نجد أن مصطلح "التلقي" لا يعدو أن يكون كلمة "تفيد فعل الاستقبال والترحاب والاحتفال والاحتراف، ولا نجد فيه ما يشير إلى معنى جمالية التلقي أو نظرية التلقي بصفة عامة"²⁸، وهي في هذا لا تختلف عن المعاجم العربية القديمة، أما بالنسبة للمعاجم الانجلوأمريكية "فالمصطلح المتداول عندها هو "مصطلح" استجابة القارئ **Reader réponse**"²⁹، وأما بالنسبة للموسوعة البريطانية والمعجم الإنجليزى أكسفورد والمعجم الأمريكي ويبستر، وحتى بعض معاجم المصطلحات النقدية، فإن مصطلح التلقي غائب في مستواه النظري"³⁰.

وتبقى البيئة الألمانية مكاناً لاستواء مفهوم التلقي، "فهي تذكر الدلالة اللغوية العامة للكلمة التي تفيد الاستقبال والاحتفال، مثل ما نجده في المعاجم العربية والفرنسية والانجلوأمريكية، وهكذا يمكن أن نعود إلى المعجم الألماني العام لسنة 1989م لنجد فيه كل مواصفات كلمة "التلقي" من حيث أصلها اللاتيني والمعاني التي نشير إليها: ولكنه يضيف فيتحدث عن مصطلحي: "جمالية التلقي" و"تاريخ التلقي"، ولعل في هذا ما يشير إلى تداول هذين المصطلحين في اللغة الألمانية وفي حقلها المعرفي العام. ويمكن تفسير ذلك بأن التلقي قد اكتسب مفهوماً نظرياً جديداً في نسق الفكر الألماني المعاصر، قبل أن يأخذ مثل ذلك في أنساق المعرفة الإنسانية الأخرى"³¹، ويبقى المصدر الألماني هو

²⁷ - عن المتخيل في أعمال إميل حبيبي، سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر، تونس، 1986، ص 9.

²⁸ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص 14.

²⁹ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص 15.

³⁰ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص 15.

³¹ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص 15.

المصدر الوحيد لنظرية التلقي لدى باقي الدراسات النقدية، فقد عرفت الثقافة الفرنسية نظرية التلقي بمفهومها الجمالي منذ أواخر السبعينات بالاستناد إلى ترجمة أعمال المنظرين الألمان³²، وكان من نتائج الاتصال بين الثقافات الغربية والثقافة الألمانية ازدهار الدراسات النقدية المهمة بنظرية التلقي، فظهرت العديد من الأبحاث الأكاديمية، والمجلات المتخصصة والدوريات.

وإذا كانت الثقافة الألمانية هي المصدر الأول لنظرية التلقي بمفهومها الجمالي، فإن طرح سؤال أصول نظرية التلقي في حقل الدراسات الألمانية أمر في غاية الأهمية.

لم يكن استواء نظرية التلقي في حقل الدراسات الألمانية بهذا النضج وليد اللحظة، بل كان ثمرة لتراكم العديد من الجهود السابقة، من خلال اعتماد أقطاب نظرية التلقي الألمانية على الإرث الفلسفي وخصوصا الفلسفة الظاهرانية.

ذلك أن الناظر للحقل المعرفي بألمانيا في بداية الخمسينات من القرن العشرين، يجد أن "السيطرة كانت بلا شك لمنهج تفسير النص المسمى بـ"التفسير المحايث *Immante*" والمعروف في الولايات المتحدة الأمريكية باسم "النقد الجديد"³³، لكن بعد سنة 1945م -أي بعد الحرب العالمية الثانية- "لم يعد أي باحث يستعمل التفسير المحايث للتحرر بكل سهولة من التاريخ، أي التحرر من إجبارية تبرير موقفه من الوضع السياسي السابق، وعلى الرغم من مزاياه التي لا تنكر، فقد أثار التفسير المحايث قضيتين اثنتين:

✓ أولهما: أنه لم يبرز بما فيه الكفاية الجانب الذي تشغله ذاتية المؤول *interprète* وأذواقه ومصالحه في تفسير النص.

✓ وثانيهما: عن منهج التفسير المحايث يبقى محروما من النموذج الذي يسمح بإدراج هذه النصوص المعزولة عن بعضها البعض ضمن سيورة

³² - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص14.

¹² - Le rôle du lecture dans la critique allemande contemporaine, Arnold ROTHE, p: 114.

التاريخ³⁴.

هكذا يبدو أن نضج نظرية التلقي جاء نتيجة تطورات تاريخية وأخرى معرفية، فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن هذه النظرية نشأت في ألمانيا التي خرجت منهزمة من الحرب العالمية الثانية، الشيء الذي هيأ الظروف لجو يمقت التاريخ وما سببه من مشكلات، وما تبع ذلك من تضعف سياسي واقتصادي أفرز تغيرات جديدة على المستوى الاجتماعي والثقافي: جيل جديد بدأ يتبرأ من النازية، وقناعات فكرية بدأت تشكك في كل تلك المنظومات الثقافية السائدة قبلئذ. وعلى المستوى المعرفي، جاءت نظرية التلقي عقب نضج "الهرمينوطيقا (التأويلية) الفلسفية" *herméneutique philosophique* في شكلها الأكثر تطوراً كما ركز عليه "هانز جورج غادامير" H.G.Gadamer في عمله المتفوق: الحقيقة والمنهج عام 1961م³⁵، والذي استند - هو الآخر - فيها على جهود أساتذته الفلاسفة: ديكرت ونتشيه وهسرل وهيدغر. وتبقى مرجعية نظرية التلقي "ذات مصادر معرفية متنوعة. تتعدد فيها الأصوات وتتجاوز على الرغم من اختلاف مشاربها، توجد في مقدماتها الاستطبيقية التقليدية ممثلة في فلسفة كانط وهيكل إلى جانب فينومينولوجيا هسرل انجاردن وريكور، ثم فلسفة هيدغر وامتداداتها الهرمينوطيقية كما تمثلها كادامير، زيادة على الماركسية الجديدة كما جربت عند بنجمن W.Benjamin ولوكاش وكولدمان؛ وخاصة عند مدرسة فرانكفورت (أدورنو، هابرماس)، يضاف إلى ذلك الأبحاث الشكلانية لمنظري حلقة براغ (موكاروفسكس وفوديكا).

طور تلامذة غادامير مجهوداته في جامعة "كونستانس": هانز روبر يابوس Hans-Robert Jauss وفولفغانغ إيزر Wolfgang Iser، ولعل الجامع بين وجهتي نظر الرجلين في نظرية التلقي هو إعادة النظر في قضية التأريخ الأدبي، أي إخضاع التجربة الجمالية لقوانين الفهم التاريخي، لكن "أهم أسس ومظاهر الاختلاف بين كل منهما - رغم الإطار العام الذي يوحد بينهما - ذلك أن الناظم لأفكار وأراء "يابوس" هو التاريخ، سواء تأريخ الأدب نفسه أو علاقته بالتاريخ

¹³ - Le rôle du lecture dans la critique allemande contemporaine, Arnold ROTHE, p: 114.

³⁵ - Le rôle du lecture dans la critique allemande contemporaine, Arnold ROTHE, p: 115.

العام، وهو ما يفسر طبيعة القضايا المركزية عنده: أفق الانتظار وتغيراته، والمسافة الجمالية، والترهين وإعادة الترهين، ومسألة التقليد، وتأسيس المعيار وانقطاعه؛ هكذا نجد أنفسنا أمام منظومة مفاهيمية تضع التلقي في إطار التاريخ، من جهة. ونقرأ الأعمال الأدبية ونحكم على قيمتها الجمالية من خلال تاريخية التلقي المتعاقبة، من جهة أخرى. فتنفذ تلك القراءات، عند ياوس طابعا مضمونيا بالأساس، ويمكن اختصار تصور "ياوس" لتاريخية العمل الأدبي ولمجموع المفاهيم التي تشكل ركائز نظريته، من خلال قولته هذه: "إن العلاقة بين العمل والقارئ تتقدم في مظهر مزدوج، جمالي وتاريخي، بينما يتجه "إيزر" ومن جهة أخرى بالتركيز على نظرية الوقع الجمالي والتي تنبني عنده على أسس ثلاثة: النص- القارئ - تفاعلها"³⁶. وبناء عليه يمكن تخصيص وقفيتين مع جهود الرجلين حيال نظرية التلقي.

أ- هانز روبر ياوس Hans-Robert Jauss.

بعد الحرب العالمية الثانية، انتقلت الدراسات الألمانية من التركيز على المؤلف والنص في التحليل الأدبي إلى الاهتمام بالقارئ أو المتلقي، الشيء الذي عجل بظهور علم جمال خاص بالقراءة، سمي لدى الدارسين الألمان بـ "نظرية التلقي أو التقبل *La Théorie de le réception*" أو "نقد استجابة القارئ" ومن أبرز روادها -عميد مدرسة كونستنس- ياوس، والذي خصص جهوده لنقد نظرية تاريخ الأدب من خلال مظاهر ثلاثة³⁷:

أ- المظهر التواقي أو التعاقبي *Diachronie* من حيث تلقي الأعمال الأدبية عبر الزمن.

ب- المظهر التوقيتي *Synchronie* من حيث تلقي الأعمال الذي يخضع إلى أنظمة الأعمال الأدبية في أنظمة معينة من الزمن.

ت- العلاقة بين التطور الداخلي الخاص بالأدب وتطور التاريخ بشكل عام.

ولتشبيت نظريته هاته، كان لزاما عليه أن يقدم نقدا لكل الدراسات السابقة

³⁶ - فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات قراءة في بعض أطروحات ولفغانغ إيزر، عبد العزيز طليمات، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص: 150-151.

³⁷ - نظرية التلقي والنقد الأدبي، أحمد بوحسن، ص28.

له، وكانت الخطوة الأولى هي الدرس الافتتاحي لسنة 1967م، بجامعة كونستنس، ويمكن تلخيص جهوده هاته في النقاط التالية:

1- جمالية التلقي الأدبي:

لقد سبقت الإشارة إلى أن الدراسات الألمانية قد تجاوزت التركيز على النص والمؤلف وحدهما في تحليل النص الأدبي إلى الاهتمام بالمتلقي أو القارئ، وهو بهذا الاهتمام يعيد النظر في "تاريخ الأدب"، ويؤسس لمفهوم جديد هو "التلقي"، فإذا كان "تاريخ الأدب" يسعى إلى دراسة المؤلفات والمؤلفين دون سواهما، فإن نظرية التلقي أعلنت من شأن القارئ، وجعلت تاريخ الأدب لا يخضع للنص والمؤلف فقط، بل يخضع لقراءة المتلقي أو قراءات المتلقين، فأضحى "تفاعل القارئ مع النص تفاعلا ممتدا عبر التاريخ، ولذلك فإنه يكشف خلال هذا الامتداد عن إنتاج يقابل النص ويتنوع بتنوع آفاق فعله الكامن، ومعنى هذا أن رد فعل القارئ ليس رد فعل سلبي يتوقف عند العملية الذهنية التي يحدثها لدينا وقع جمالي معين؛ وإنما هو رد فعل إيجابي ومنتج كذلك، أي أنه لا يكتفي بتفاعل نضمن معه فهم النص والاستجابة المباشرة لمكونات وقعه، بل يتعدى ذلك إلى خلق طاقة تفاعلية متطورة تكرس قيمة العمل الفني من جهة، وتبلور أجهزة مفسرة ومؤولة لهذا العمل من جهة ثانية"³⁸، وهذا التفاعل بين القارئ والنص الدائم والمستمر، يخلق تلازما بين "تاريخ الأدب" و"جمالية التلقي"، ذلك أن الجمالية تتحقق وفق الذهنية المشتركة بين القارئ ومؤلف النص، وتتطور هذه الجمالية مع تطور تاريخية الأدب. وأول أزمنة جمالية التلقي، أي التلقي الأول للنص، يكون عبارة عن دهشة فنية تتلوها تلقيات معززة بآليات التعليل والتأويل أي بالقراءات الخبيرة في الأزمنة الموالية. يلخص "ياوس" فكرة كون تاريخ الأدب تلقيات متعاقبة وفق أزمنة فنية بقوله: "إن العلاقة بين العمل الأدبي والقارئ تعرض من خلال وجهين اثنين: وجه جمالي، وآخر تاريخي، وقبل ذلك يكون تلقي القراء الأوائل للعمل متضمنا حكم قيمة جمالي، يستند مرجعيا إلى أعمال أخرى قرئت من قبل، إن

³⁸ - استعارة الباحث واستعارة التلقي، إدريس بلمليح، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص: 111.

هذا الفهم الأول للعمل يستطيع من بعد أن يتطور ويغتني من جيل إلى آخر، مكونا عبر التاريخ سلسلة من التلقيات هي التي تحدد الأهمية التاريخية للعمل وتبين مقامه ضمن التدرج الجمالي³⁹.

لقد تولد عن دراسة ياوس لأزمة جمالية التلقي في تاريخ الأدب مفهوم "أفق الانتظار":

2- أفق الإنتظار:

يقصد ياوس بـ"أفق الانتظار" أو "أفق التوقع" **horizon d'attente** "مجموع السلوكات والمعارف والأفكار المسبقة التي يواجهها عمل "فني" ما زمن صدوره، والتي على أساسها تقاس قيمته، فبالارتباط بأفق انتظار الجمهور هذا يؤول تلقي نص ما إلى التأكيد **confirmation** أو بالأحرى التخييب **déception**. ويسمي ياوس المسافة الواسعة، إلى حد ما، التي تنشأ بين انتظار الجمهور والنص الذي ينجزها "بالمسافة الجمالية" **Distance esthétique**. ففي حالة التخييب لأفق التوقع، يمكن أن يحدث شيان اثنان: إما إن غضب الجمهور يؤدي إلى تغيير في السلوكات والمعايير، لا بل وحتى "تغير في أفق الانتظار **Changement d'horizon**، وإما إن التخييب يمكن أن يدفع بالجمهور المعاصر للعمل إلى الرفض"⁴⁰ هذه -إذا- هي الأطروحة الأساسية التي ظل ياوس عاكفا على مناقشتها ضمن مشروعه "جمالية التلقي"، إذ جعل لكل متلق أفق انتظار يميزه عن غيره من المتلقين، وهو عبارة عن استعداد قبلي مكتسب لديه قبل مباشرة تلقي النص، والاستعداد المكتسب يحوي أفكارا مسبقة عن النص، تحدد طبيعة ذهنيته ونفسيته، وهناك يكون أفق انتظار المتلقي يطابق المعايير الجمالية المحتملة للنص.

يمكن القول إن مسار تشكل أفق انتظار المتلقي يخضع لأربعة أزمنة:

الأول: زمن ما قبل التلقي الجمالي للنص الأدبي، وهنا يتكون "أفق انتظار المتلقي

³⁹ - Pour une esthétique de la réception, Jauss, p: 45.

⁴⁰ - Le rôle du lecture dans la critique allemande contemporaine, Arnold ROTHE, p: 116.

من أربعة مكونات على الأقل:

- 1- معرفة كتابة كاتب محدد "متلق".
- 2- تجربة القارئ في مجال جنس خاص.
- 3- معرفة الأدب بصفة عامة.
- 4- الحياة الخارج-أدبية *Extra-littéraire*. النفسية والاجتماعية للقارئ⁴¹.

وقد أضاف إليها رشيد بنحدو مكونات أخرى⁴²:

- 1- معرفة القارئ المسبقة بخصوصية كتابة العمل المقبل على قراءته.
- 2- تجربته الخاصة في مجال نوع أو غرض أدبي معين.
- 3- درايته العامة بالأشكال و"التييم" *Thèmes* التي ميزت أعمالاً سابقة.
- 4- إدراكه الفرق بين التجربة الواقعية والتجريب النصي، بين اللغة العلمية واللغة الشعرية.

بعد مباشرة القارئ للنص، وهو على استعداداته القبلية بمكوناتها السابقة، ينتظر ذلك التطابق بين أفق انتظاره والمعايير الجمالية للنص الجديد، غير ملتفت إلى أن النص الأدبي هو الآخر له أفق انتظار خاص به، أفق قائم الذات في مواجهة أفق انتظار المتلقي. وهنا يبدأ الزمن الثاني:

الثاني: زمن التلقي الجمالي - وهو واحد من أزمنة ثلاثة التي ذكرها بلمليح - وهو زمن "مقترن بالدهشة الفنية التي يحسها كل قارئ يطلع على الأثر إطلاعا مبدئياً، فيخضع لوقعه ويتفاعل معه في معزل عن العملية الإدراكية التي قد تؤول هذه الدهشة"⁴³، وفي هذا الزمن حيث يقارع أفق انتظار المتلقي أفق انتظار النص الأدبي في أول تلق له، تظهر حالتان:

- 1- الائتلاف: حيث يراعى النص الأدبي أفق انتظار القارئ، فيكون هناك ائتلاف بين المعايير الفنية والجمالية والأجناسية للنص الأدبي وذخيرة المتلقي.
- 2- التخيب: وهناك يكون التعارض بين كل تلك المعايير الفنية والجمالية

⁴¹ - علم جمال التلقي وعلم اجتماع التلقي، ب.ف.زيم، ترجمة محمد الداوي، مجلة عيون المقالات، عدد 16، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1993، ص126.

⁴² - قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد: 48-49، مركز الإنماء القومي، شباط 1988، ص: 21.

⁴³ - استعارة الباحث واستعارة التلقي، إدريس بلمليح، ص: 111-112.

الرابع: زمن التلقي التاريخي، "ويتم عن طريق تأويل النص اعتمادا على المعاينة التي أبداهها القراء السابقون من خلال تفاعلهم الإيجابي مع الأثر، ويدخل ضمن هذا الزمن كل تأويل جديد يجيب عن الأسئلة التي قد تظل عالقة بحكم أن النص الفني يتضمن فعالية لم يستوعب القراء السابقون مجمل مكوناتها عبر ردود فعلهم المختلفة"⁴⁶، وهذا ما عبر عنه "ياوس" بـ"اندماج الآفاق" أو "انصهار

⁴⁵ - استعارة الباث واستعارة التلقى، إدريس بلمليح، ص112.

⁴⁶ - استعارة الباث واستعارة التلقي، إدريس بلمليح، ص 112.

الآفاق *fusion des horizons* والذي يرجع إلى إعادة تشكيل أفق الانتظار، من خلال الأسئلة التي يطرحها النص الأدبي، على مدى سيروية التلقيات المتعاقبة، فهو "مفهوم يصف من خلاله "ياوس" "العلاقة القائمة بين الانتظارات الأولى التاريخية للأعمال الأدبية والانتظارات المعاصرة التي قد يحصل معها نوع من التجاوب"⁴⁷، وفق تلك الأسئلة المعاصرة المطروحة بشكل دائم على النص، في تجاوز لتاريخه، وتحيينه في كل تلق، وهو الأمر الذي يتجلى في النصوص التراثية الخالدة، والتي لازالت صامدة بتجديد الأسئلة المطروحة عليها، وفق الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية المتجددة، وهذا التجدد هو ما يوسع دوماً تلك الفجوة أو المسافة الجمالية بين أفق انتظارها الثابت وأفق انتظار المتلقي المتجدد.

ب- فولفكانك إيزر Wolfgang Iser

يعد إيزر واحداً من أعمدة جامعة كونسطنس، وتلميذ آخر لـ "كادامير"، وقد قاسم زميله "ياوس" همّ تحليل النص الأدبي، لكن باختلاف في منهج العمل، فإذا كان "ياوس" اهتم أكثر بتاريخ الأدب، واعتبر أن معنى النص الأدبي يحدده المتلقي في سلسلة من التلقيات المتعاقبة، يجابه فيها أفق انتظار النص الأدبي بأفق انتظار المتلقي، فإن إيزر اهتم بالنص الأدبي الفردي في علاقته بالمتلقي. وهو بهذا يكمل جهود زميله، إذ أن النص الأدبي الفردي بمعزل عن متلقيه لا معنى له، وأن فعل القراءة هو الذي يخرج هذا النص من العدم إلى الوجود، ولهذا نجده يسمي جمالية التلقي بـ "نقد استجابة القارئ" في مقال له⁴⁸، يقول: "لا شك في أن ما يعرف اليوم بجمالية التلقي أو نقد استجابة القارئ ليس نظرية موحدة كما يوحي بذلك اسمها. حقاً، إن المفهوم يستلزم تيارين أساسيين من التفكير يمكن تمييز أحدهما عن الآخر بوضوح رغم تداخلهما. فالتلقي يركز على السيروية التوثيقية للنصوص، ويرتبط أساساً بردود الأفعال والمواقف التي تكيف استجابات القارئ. ولكن النص الأدبي نفسه هو في نفس الوقت شكل مبنين لتلك الاستجابات، بحيث يدمج قدرة الوقع الذي يبدأ السيروية، ويبنيها

⁴⁷ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص30.

⁴⁸ - آفاق استجابة القارئ، فولفكانك إيزر، ترجمة أحمد بوحسن، مراجعة محمد مفتاح، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأليف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، البيضاء، 1994.

إلى درجة ما"⁴⁹، هكذا -إذا- يميز إيزر بين تيارين أساسين في جمالية تلقي النص الأدبي. أحدهما مرتبط بالنص، والآخر مرتبط بالمتلقي، فالأول - المرتبط بالنص - سماه: "الوقع"، والثاني- المرتبط بالمتلقي - سماه: "التلقي". واعتبرهم حجري الزاوية لجمالية التلقي، أي أن العلاقة التي تربطهما هي علاقة تلازم، فالتلقي عملية ذاتية، تواجه النص الذي يُوجّه هذا التلقي لبناء المعنى، وكأنه يريد أن يربط تيار التلقي بما هو ذاتي، وتيار الوقع بما هو موضوعي. ويرى إيزر أن جمالية التلقي لا يمكن حصرها في النص أو المتلقي، وإنما هي كامنة في تفاعلها وتضافرهما، وهو ما يصبغها بصبغة الحركية والحرية، ليتحدث عن استجابات للقارئ، تتعدد معها معاني النص، يقول إيزر: "لهذا فإن الوقع والتلقي هما حجر الزاوية لنقد استجابة القارئ حيث تجمع مناهجهما بين "التلقي" الاجتماعي التاريخي و"الوقع" النظري النصي، ولا يمكن لنقد استجابة القارئ أن يكون مثمرا إلا إذا كان تياراه المختلفان هذان يتضافران ويتفاعلان"⁵⁰.

وبناء على ما سبق، فإن جمالية التلقي أو نقد استجابة القارئ ترتكز على ثلاثة مرتكزات:

1- "الوقع الذي يعبر الاهتمام إلى أولويات صيرورة النص"⁵¹، "ويُفترض فيه وجود بنيات داخلية تسمح بتحديدده: وتتمثل في المكونات اللغوية والسيمائية والتركيبية. كما يتوفر النص أيضا على إمكانيات عدم تحديده، وهي التي تسمح أو تمتلك القدرة على إنتاج المعنى، وتكمن هذه الإمكانية المقترحة في القراءة وفي صيرورتها"⁵².

2- "التلقي الذي يراعي التاريخ"⁵³، ذلك أن القراءة "فعل متحرك تركب الموضوع أثناء جريانه فعل القراءة، بمعنى أن القراءة نشاط مكثف يختلف باختلاف القراء في ملزمة المعنى من النص... إن قارئ إيزر قارئ لا يتوقف بمشي القراءة. ولعل خير وَصَف وَصَف به قارئ إيزر هو الذي وصفته به **E. freund**

⁴⁹ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص211.

⁵⁰ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص211.

⁵¹ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص213.

⁵² - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص35.

⁵³ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص213.

حين دعتة "بالقارئ المشاء"⁵⁴.

3- الشروط أو الظروف التي تتحكم في تفاعل النص مع القارئ "فالجريان التاريخي المشروط تاريخيا لقدرة النص يتطلب أطرا محددة لتقدير العمليات التي تمكن النص من إثارة انتباه قارئه. لذلك فإن أية ممارسة لوضع تصورات للتلقيات المتنوعة للنص في مساق تاريخه، يتطلب تحليل بُنى النص لدى القارئ، وهو منتج مسبوك بالمعايير والقيم التي تتحكم في تصور القارئ. لذلك فإن التلقي مؤشر على أنواع التفضيل وضروب الميول التي تظهر استعداد القارئ بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية التي شكات مواقفه"⁵⁵. ويلاحظ بلمليح "أن إيزر يميز في سبيل تأسيس العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ بين مستويين اثنين للفاعلية: أولهما المستوى التقني، أي مدى الدقة التي توصل بها إشارة معينة محتوى دلاليا محددًا، وقدرة هذا الإيصال على التأثير في المقصد بحسب الاتجاه الذي يرغب فيه المصدر، والثاني يتحدد في فعالية المستوى الدلالي. وهو مستوى يتميز لدى إيزر باستقلاله على المستوى التقني"⁵⁶، كما يرى أن "الشروط الأساسية للتفاعل القائم بين النص والمتلقي شروط كامنة في النص. ولذلك فإن وصف هذا التفاعل لا بد من أن يرتبط بتوجهين اثنين في آن واحد: أولهما يدرس مكونات الفعل النابع من النص أو الكامن فيه؛ والثاني يهتم بأنظمة رد الفعل التي تتكون لدى القارئ في إطار الوقع الجمالي الذي يحدثه فيه هذا النص"⁵⁷.

إن جمالية التلقي بمرتكزاتها الثلاث، جعلت إيزر يتساءل بخصوص المتلقي عن إحساسه وانفعاله ورد فعله أثناء عملية التلقي، الشيء الذي جعله يركز أضاءه أكثر على مفهوم القارئ، والذي دعاه بالقارئ الضمني، يقول إيزر: "وما دعوته بـ"القارئ الضمني" ليس شخصا خياليا مدرجا داخل النص، ولكنه دور مكتوب في كل نص ويستطيع كل قارئ أن يتحملة بصورة انتقائية وجزئية وشرطية. ولكن هذه الشرطية ذات أهمية قصوى لتلقي العمل، ولذلك فإن دور

⁵⁴ - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص35.

⁵⁵ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص212.

⁵⁶ - المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، ادريس بلمليح، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1995، ص280.

⁵⁷ - المختارات الشعرية، ادريس بلمليح، ص280.

القارئ الضمني يجب أن يكون نقطة الارتكاز لبنيات النص التي تستدعي استجابة"⁵⁸، هكذا يذوب هذا القارئ في ثنايا بنية النص، وهو قارئ واقعي ينفي عنه صفة الخيالية، في مقابل قارئان خياليان أو افتراضيان يتضمنهما النص، "يكون الأول صورة ذخيرة، تتكون من المعرفة الاجتماعية والتاريخية لفترة معينة، والثاني هو الذي يتصوره المؤلف ويضعه في حسبانته عندما يضع إستراتيجية النص. ومن ثم فقد يكون امتدادا لقارئ تاريخي يبدو في شكل نماذج مكررة ومتماثلة أو قد يشكل نموذجا جديدا إذا كانت إستراتيجية المؤلف تخترق المألوف وتخرج عن السائد، وذلك في محاولة تَعَمَد إلى تخيل قارئ جديد ورسم ملامح صورته المستقبلية"⁵⁹. فهو -إذا- قارئ واقعي، له علاقة مع النص ويعيش داخله منذ وجوده، ولهذا فهو حَمَال لتطورات تاريخية وتجارب فنية، من خلال تفاعله مع القراء أثناء صيرورة النص الأدبي التاريخية، وهذا القارئ الضمني يقوم بحركة دينامية عمودية - على رأي أرنولد روث - يقوم ببناء المعنى على أساس وحدات المعنى الدنيا، يقول أرنولد روث: "وبتأملنا لفعل القراءة في كليته، فإنه ينبغي التمييز بين حركة ديناميكية عمودية وحركة ديناميكية أفقية، ففيما تحدد الحركة العمودية بناء المعنى ذا نظام متفوق على أساس وحدات المعنى الدنيا، فإن الحركة الأفقية تتضمن: تعاقبا لبناء معنى مؤقت، وتكوّنا لانتظار ما -انطلاقا من هذا المعنى المؤقت-، وتأكيذا لهذا الانتظار فيما بعد، و[أيضا] مساءلة المعنى المؤقت لا بل وحتى مراجعته، في حالة التخيب، وهكذا دواليك. نستنتج أن وحدات النص التي تنبئ بمعنى ما، وكذا القطيعات التي تحدث في بناء هذا المعنى، ما هي إلا معطيات موضوعية، وبعبارة أخرى، فهي تكون قراءة، ما باعتبارها فعلا مدرجا في النص وهو، بحسب إيزر، "القارئ الضمني"⁶⁰.

شكلت "جمالية التلقي" التي أتى بها كل من ياكوب وإيزر طفرة مشهودة في

⁵⁸ - آفاق استجابة القارئ، إيزر، ص 213.

⁵⁹ - النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، حميد سمير، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، عن موقعه الرسمي: www.awu.dam.com/book/05/258-A-S/book05-sdoo3.html

⁶⁰ - دور القارئ في النقد الأدبي الألماني المعاصر، أرنولد روث، مجلة فكر ونقد، عدد: 95، فبراير 2008، الدار المغربية للنشر، الدار البيضاء، ص 120.

تطور نظرية القراءة في الفكر الغربي، فقد منحت الاعتبار للقارئ على حساب النص والمؤلف، ذلك أن النص الأدبي لا ينفرد بالمعنى المطلق، بل هو مؤشر مادي لمعنى يحوله المتلقي إلى دلالة، فدخل هذا المتلقي - على رأي يابوس - في حوار وتفاعل مع النص، وعلى المحلل الأدبي أن يرصد تلك الأحاسيس وردود الفعل التي تحصل عند القارئ، كما يرى إيزر أن هذا النص هو نص ملئ بالقطيعات أو الثغرات، وعلى القارئ أن يقوم بملئها.

ولما كان لنظرية التلقي - كما استوت في الفكر الغربي - هذه الأهمية في قراءة النصوص الأدبية، فقد تبناها العديد من الدارسين العرب في قراءة النص الأدبي العربي سواء القديم منه أو الحديث، إلا أن تقويمهم لصلاحيه التطبيق الحرفي لآليات هذه النظرية يختلف من واحد إلى آخر، فمحمد مفتاح يرى "أن النقل الحرفي لهذه النظرية [نظرية التلقي] قد لا يكون عام الفائدة لأنه قد يلغي بعض الظواهر الثقافية الهامة في مجتمع من المجتمعات؛ فقد تكون النظرية التي اقترحها "يابوس" والمنهجية المحققة لها مفيدتين، حقا، في دراسة بعض الآثار الأدبية وتأويل "نوع" المنتخبات الشعرية في الأدب العربي مثل المعلقات وبعض الدواوين الشعرية الشهيرة في القديم والحديث"⁶¹. ويرى أحمد بوحسن أنه "يكون من المفيد جدا من الناحية المنهجية والعلمية أن نسترشد بفرضيات يابوس بما توفر لنا من رصيد معرفي عن أبعاد نظريته وحدودها لنكشف عن جوانب من تاريخ قراءة أدبنا العربي أو نقدنا العربي"⁶²، وذهب عمو عسو أبعد من ذلك حين اعتبر أنه "لا يمكن فهم النتاجات البلاغية والنقدية المؤلفة إبان الغزو المغولي فهما جيدا إلا في إطار نظرية التلقي ونقد استجابة القارئ، لأنها النظرية التي تولي عناية كبيرة لفهم النصوص والمؤلفات، ودراستها ضمن شروطها التاريخية وسياقات إنتاجها السياسية والاجتماعية والثقافية"⁶³، دون أن يكون ذلك تسليما أعمى بما جاءت به هذه النظرية إذ يعود ويقول: "كما أنني لا أدعي أنه بإمكانني الاستفادة مما جاءت به هذه النظرية في كل صغيرة وكبيرة، أو أنني سأطبقها كما تطبق حاليا في نظريات

⁶¹ - من أجل تلق نسقي، محمد مفتاح، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص 45.

⁶² - نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، أحمد بوحسن، ص 32.

⁶³ - المناهج البلاغية والنقدية، عمو عسو، ص 95.

الأدب والنقد الأدبي المعاصر، أو أنني سأقتصر عليها دون غيرها من النظريات والمناهج⁶⁴.

كاد هؤلاء الجلة من العلماء المذكورين أن يتفقوا اتفاقاً مطلقاً على أهمية نظرية التلقي في قراءة الأعمال الأدبية العربية، وكذلك في الاستفادة منها منهجياً ومعرفياً في النقد العربي، على أساس أن لا يكون الارتقاء في أحضانها ارتقاء المستسلم المتلهف، لأن لكل مجتمع خصوصياته الاجتماعية والثقافية والعلمية، وهذه الخصوصيات قد تحول دون استيعاب وتمثل هذه النظرية بشكل يغني الفعل الأدبي العربي.

لا بد من الإشارة أن من أولويات اعتماد هذه النظرية من لدن أي دارس في مباحث النقد الأدبي القديم، أن يكون ملماً بأبعادها العلمية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي أنبتتها وأنضجتها، ومن ثم يسهل عليه تحديد الجوانب النظرية والمنهجية المفيدة فيها لدراسة النقد الأدبي العربي.

وبالإطلاع على مصادر النقد الأدبي على العهد المريني، ومن خلال تتبع نظرية التلقي، يبدو أنه من الملائم الاستفادة من مباحثها وخصوصاً جهود ياقوت في تحديد أشكال تلقي الناقد المريني لقضايا النقد الأدبي العربي القديم، ذلك أن التفاعل بين القارئ والنص والذي ينتج عنه إما تأكيد من خلال تطابق أفق انتظار كل من النص والقارئ، أو تخيب ناتج عن توسع المسافة الجمالية بين أفق انتظاريهما، فينتج عن ذلك التخيب: إما رفض أو تغيير في أفق الانتظار. ولعل من أهم حسناتها على النقد الأدبي بالغرب الإسلامي على العهد المريني أنها:

1- نسفت فكرة المركز/المحيط أو البؤرة/الصدى، ففلسفة هذه النظرية تؤمن بأن القارئ لا يقل أهمية عن المؤلف، بل أن له من الأهمية أكثر ما للمؤلف ونصه.

2- كون النص ملئاً بالفراغات أو القطيعات أو الثغرات، وأن القارئ يعمل على ملئها في بناء المعنى، هو مؤشر على تطور النص النقدي في صيورته

⁶⁴ - المناهج البلاغية والنقدية، عمو عسو، ص 95.

التاريخية، ومعلوم أن تطور الفكر العربي مر بعدة مراحل، في كل مرحلة تظهر علوم جديدة وتنضج أخرى، والقارئ العربي يقوم دائماً بتزويد ذخيرته، بما استجد من هذه العلوم، وأثناء ملئه لثغرات النصوص النقدية، تنضج هي الأخرى، في عملية تناص مستمرة، ينتج عنها نص نقدي مريني حامل لفسيفساء معرفية متنوعة.

ومن خلال ما سبق، يمكن تحديد أنماط التلقي النقدي لدى الناقد المريني بالموازاة مع أفق انتظاره إلى:

- 1- التأصيل أو التأكيد وأفق الانتظار المنسجم.
- 2- الرفض أو التخييب وأفق الانتظار المعارض.
- 3- النقاش أو المؤلف المشارك وأفق الانتظار المقارع.
- 4- التجاوز وأفق الانتظار المتباعد.
- 5- الاختيار الأدبي وأفق الانتظار المتجدد.
- 6- التأصيل أو التأكيد وأفق الانتظار المنسجم.

على هذا النمط من التلقي، جاءت قراءة الناقد المريني للعديد من جزئيات القضايا النقدية العربية القديمة، فحدث تطابق في أفق الانتظار، فاستحالت هذه القراءة المغربية تأصيلاً للنقد الأدبي، نتج عنه وجود تكرار لهذه الأفكار المشرقية لديهم، فكان بذلك تأكيداً منهم على اقتناعهم بهذه الجهود، ومن الأمثلة على ذلك: يقول ابن خطاب الغافقي المرسي (ت636هـ): "أنشدني الفقيه العالم الملسن أبو بكر محمد بن محرز الزهري (ت655هـ) جملة من نظمه، من ذلك قوله لابنه الأصغر أبي عامر:

يا بني وليس مثلي يسهو عند وعظ يرويه مثلك عنه

أنت ضيف الدنا فأقلل عيوباً من قراها واخش الردى من لدنه"⁶⁵

عقب العبدري (ت700هـ) بقوله: "لو قال ابن محرز: "أنت ضيف الدنيا" لقام الوزن وسلم من غرابة هذا الجمع، فإن جمع الدنيا غريب نادر، وقد عابه صاحب اليتيمة على أبي الطيب المتنبي في قوله:

⁶⁵ - رحلة العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، حققها وقدم لها علي إبراهيم كرودي، قدم لها شاكر الفخام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1419هـ/1999، ص65.

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ⁶⁶

2. الرفض أو التخييب وأفق الانتظار المعارض.

وعلى هذا النمط من التلقي، جاءت قراءة الناقد المريني للقضايا النقدية في ثانيا مصادر النقد الأدبي العربي القديم، إذ وجد هذا الناقد نفسه في تعارض مع الناقد القديم في دراسة بعض جزئيات القضايا النقدية أو في تحليل نص أدبي، ومن الأمثلة على ذلك، يقول السجلماسي معارضا الثعالبي في تحليل بيت شعري في موضوع الطباق وللمثنى أربع مطابقات قال :

أَزُورُهُمْ، وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي، وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

قال الثعالبي في كتاب "يتيمة الدهر": "فلله درّه، وناهيك بشرف لفظه وفضله وبراعة نسجه، وما أحسن ما جمع أربع مطابقات في بيت واحد، وما أراه سبق إلى مثلها. وما زال الناس يتعجبون من جمع البحري ثلاث مطابقات (حتى جاء أبو الطيب فأرّب عليه) مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة. فهذا ما يقوله الثعالبي في هذا الموضع، ولعمري إن القول لغز ما يقول"⁶⁷.

3 النقاش أو المؤلف المشارك وأفق الانتظار المقارع:

وهذا نمط من التلقي ميز قراءة الناقد المريني، والذي يسعى لتطوير الفكر العربي عامة والدرس النقدي خاصة، و يسعى لخلق حوار بين أفق انتظاره وأفق انتظار الناقد العربي القديم، بهدف تجديده وإخصابه، فيتجاوز مرحلة التخييب التي تواكب مرحلة الدهشة الفكرية إلى مرحلة النقاش والتطوير، نقاش ينأى بنفسه عن أن يكون أجوفا غوغائيا إلى نقاش يستند إلى نصوص مساندة وأخرى معارضة، ومن الأمثلة على ذلك نقاش السجلماسي الطويل لقضية "الطباق" مع النقاد القدماء، نكتطف منه هذا الجزء، يقول: "وليس لقاتل أن يقول: إن اسم المطابقة والطباق، وهو بمعنى الموافقة، فيسوغ نقله بهذه الجهة إلى ما يراه الفريق الآخر لأنه قد تقرر أنه ليس من موضوع اللغة الأصل، وإنما هو مولد

⁶⁶ - رحلة العبدري، ص 66.

⁶⁷- المنزوع البديع في تجنيس البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، حققه علال الغازي، مكتبة المعارف، ط1، الرباط، 1401هـ/1980، ص: 379-380.

لهج به قوم من الكتاب، وناس من العلماء إما لعدم البصر بلغة العرب، وإما للتساهل وترك التحقيق في استعمال هذه الأمور لاستمرار الاستعمال فيه كذلك بهذه الجهة، وهو غلط ولحن غير مأبوه له. فيكون قد ظهر صواب الرأي الأول الظهور الذي لا خفاء به. وإن إنكار قدامة هذا المعنى وتلقيبه بهذا اللقب معاً أو اللقب فقط، محض التنكب عن النظر والتحقيق، فإن كان قدامة ينكر وجود هذا المعنى، فإن ما عليه الأمر في نفسه والوجود وشهادة الحس والعقل قواض بتنقيض ما يقول، وإن كان يرى أن الشرف هو للمعنى الذي يرى هو تلقيبه باسم الطباقي ونحن نلقبه بالتجنيس، فهو لعمر الله مما ليس يقضي منه العجب الآخرون من قول: "قلب الوجود وخالف الحقائق" فإنه إن كان المعنى الذي نلقبه نحن الطباقي مما يرجع إلى المعاني، والمعنى الذي يلقبه هو به وهو التجنيس مما يرجع أمره إلى مجرد اللفظ فقط، وكانت المعاني، كما قد أقرت به جميع الأمم، وشهد به كل الناس وأطبق عليه النظار، وهو ما عليه الوجود والأمر نفسه هي مقصودة على القصد الأول وأشرف من الألفاظ المقصودة على القصد الثاني وذلك من الأمر البين بنفسه. وقد قيل في ذلك في صنائع عدة، فأنت تعلم ضرورة فساد ما ذهب إليه قدامة وغيره في هذا الأمر. وقد قال أرسطو في الثانية من الخطابة في هذا النوع - وأرسطو يسميه الإرادة - ما إن وقف عليه منصف أذعن له. وصرّح الرئيس أبو علي بن سينا في شرف هذا النوع الملقب عندنا بالمطابقة في كتابه الملقب "بالشفاء" بما يهدي الناظر. وجماع ذلك وضع الأشياء المتقابلة بعضها بحذاء بعض، والدلالة على قوة منّة المتكلم، وحسن تصويره للمعاني، وإيراده لها بالعبرة، وأين التجنيس من هذا الشرف؟، فهذا ما يقتضيه النظر العدل والإنصاف⁶⁸.

4- التجاوز وأفق الانتظار المتباعد:

مما لا شك فيه أن الفكر العربي عامة في تطور دائم، وأن الكثير من الأفكار تكون صالحة في زمن، ثم يأتي زمن آخر تتجاوز فيه، فليس بدعا من الأمر أن نجد أن، الناقد المريني يجدد أفق انتظاره بعيدا عن أفق انتظار الناقد العربي القديم، فيقوم بتجاوز أفكاره إلى ما جدّ من أفكار في الفكر الغربي، أو ما قد

⁶⁸ - الروض المربع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، حققه رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، (د.ط)، الدار البيضاء، 1985، ص: 374-375.

يستحدثه هو، ولعل من أهم الأمثلة تجاوز الناقد المريني في تعريفه للشعر التعريف المشهور⁶⁹: الشعر كلام موزون ومقفى يدل على معنى" إلى اعتبار أن التخيل والمحاكاة هما عمود الشعر، يقول ابن البناء المراكشي: "الشعر هو الخطاب بأقوال كاذبة مخيَّلة على سبيل المحاكاة، يحصل عنها استفزاز بالتوهّمات"⁷⁰، بل وإن السجلماسي يحتفظ بعناصر التعريف القديم للشعر ويتجاوزها إلى إضافة عنصر التخيل الذي اعتبره عمود الصناعة الشعرية، يقول: "الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة"⁷¹.

5- الاختيار الأدبي وأفق الانتظار المتجدد:

لقد دأب النقاد القدماء على الاختيارات الأدبية إما لشرح قواعدهم النقدية النظرية، أو باعتبارها منطلقا تطبيقيا لاستخراج النظريات النقدية فيما سمي بالنقد التطبيقي، لكن هذا الاختيار الأدبي الذي اتسم بالدهشة لديهم، وحاوَر أفاق انتظارهم أفاق انتظاره، لم يعد كذلك بالنسبة للناقد المغربي المريني، بل خلق لديه دهشة وانفعالا من نوع آخر، وهي دليل على تجدد أفاق انتظار الناقد المغربي، من خلال تجدد إدراك جمالية هذه النصوص بتجدد المقاييس الفنية التي يتأبطها، ومن الأمثلة على ذلك، كتاب "السحر والشعر" للسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ)، الذي اختار فيه لابنه محمد مجموعة من الأشعار حيث قال: "وظهر لي الآن أن أيسر له مجموع هذه الأناشيد ليحاضر بها ويتمثل، ويتأسى البيان لذكرها لديه ويتأثّل، في رقاع مزهو بالقلائد، وتجعل تمائم على نحور الولاند. على ترتيب معلوم ووصف مرسوم. من المدح وما يقاربه والنسيب وما يناسبه. والوصف (...) ليكون أجمع للفكر، وأسهل للذكر، ومن كلام سيد الفلاسفة، لكل شيء صناعة وحسن الاختيار صناعة العقل. وقال أفلاطون: عقول الرجال في حسن اختيارها. وقال أحمد بن طاهر: لكل علم خاصة ولكل خاصة اختيار ولكل اختيار اختصار وحسن الاختيار"⁷²، فاختر

⁶⁹ - أقصد مفهوم الشعر المشهور قبل القرن الهجري الرابع.

⁷⁰ - الروض المريع، ابن البناء المراكشي، ص81.

⁷¹ - المنزع البديع، السجلماسي، ص218.

⁷² - السحر والشعر، لسان الدين بن الخطيب، حققه المستشرق الإسباني ج.م كونتننته بيرير، راجعه ودققه: محمد سعيد إسبر، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، ط1، جبلة، سورية، 2006، ص11.

الشاهد الأدبي لديه صناعة العقل، وهو علم الخاصة. وهو اختيار ينبع من مقاييس فنية جديدة، تدل على تجدد أفق انتظار الناقد المغربي.

المصادر والمراجع

- استعارة الباث واستعارة التلقي، إدريس بلمليح، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.
- آفاق استجابة القارئ، فولفكانك إيزر، ترجمة أحمد بوحسن، مراجعة محمد مفتاح، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأليف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط الأولى، البيضاء، 1994.
- دور القارئ في النقد الأدبي الألماني المعاصر، أرنولد روث، مجلة فكر ونقد، عدد: 95، فبراير 2008، الدار المغربية للنشر، الدار البيضاء.
- رحلة العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، حققها وقدم لها علي إبراهيم كرودي، قدم لها شاعر الفخام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1419هـ/1999.
- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، حققه رضوان بنشقرن، دار النشر المغربية، (د.ط)، الدار البيضاء، 1985.
- السحر والشعر، لسان الدين بن الخطيب، حققه المستشرق الإسباني ج.م كوتنتنته بيرير، راجعه ودققه: محمد سعيد إسبر، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، ط1، جبلة، سورية، 2006.
- علم جمال التلقي وعلم اجتماع التلقي، ب.ف.زيما، ترجمة محمد الداوي، مجلة عيون المقالات، عدد 16، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1993.
- عنف المتخيل في أعمال إميل حبيبي، سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر، تونس، 1986.
- فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات قراءة في بعض أطروحات ولفغانغ إيزر، عبد العزيز طليمات، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.
- قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد: 48-49،

- مركز الإنماء القومي، شباط 1988.
- المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، ادريس بلميح، مطبعة النجاح الجديدة، ط الأولى، الدار البيضاء، 1995.
 - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، منشورات المكتبة الجامعية، البيضاء.
 - من أجل تلقى نسقي، محمد مفتاح، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.
 - من سلطة النص إلى سلطة القراءة، تامر فضل، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 48-49، مركز الإنماء القومي، 1988.
 - المناهج البلاغية والنقدية العربية إبان الغزو المغولي: دراسة وتحليل ونقد، عمو عسو، مطبعة ووراقة تانسيقت، ط الأولى، مراكش، 1422هـ/2001.
 - المنزع البديع في تجنيس البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، حققه علال الغازي، مكتبة المعارف، ط الأولى، الرباط، 1401هـ/1980.
 - النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، حميد سمير، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، عن موقعه الرسمي:
- www.awu.dam.com/book/05/258-A-S/book05-sdoo3.html
- نظرية التلقي والنقد العربي الحديث، أحمد بوحسن، كتاب: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات: 24، مطبعة النجاح الجديدة.
 - Le rôle de la lecture dans la critique allemande contemporaine, Arnold ROTHE.
 - Pour une esthétique de la réception, Jauss.